

جدلية الاستشراق والعقيدة:

مقارنة بين الاتجاه الإسلامي و الاتجاه الاستشراقي فى علم تاريخ الأفكار

Submitted for the International congress:

"Horizonte der islamischen Theologie"

Frankfurt, 1-5 September 2014

Section 3: History of Thought

مقاربات جديدة للتاريخ الإسلامى : التاريخ الإسلامى بين النقد والتقدير : **Panel 6**

سيّد محمد هادى گرامى¹

مؤسسة الإمامية للدراسات، طهران

جامعة برلين الحرّة

1 . m.h.gerami@hotmail.com; h.gerami@fu-berlin.de.

الخلاصة

إنّ التطوّرات التاريخيّة في مختلف المدارس الفكرية بما فيها البشريّة والإلهيّة لها العديد من الأمثلة في تاريخ العالم وقد توسّع في العقود الأخيرة نطاق الدراسات التاريخيّة حيث يشمل كثيرا من المدارس الإلهيّة وغير الإلهيّة. ومن ثمّ التطرّق الى الدين الإسلامي بمختلف فروعها الفقهيّة والعقائديّة قد أخذ مسارا أسرع من ذي قبل. وفي هذا الإطار، المدرسة الاستشراقيّة نظرا إلى دراساتها لمختلف شؤون العالم الإسلامي تعدّ من أهمّ المدارس الفكرية المعاصرة التي استقطبت أنظار العلماء حتّى في المجتمعات الإسلاميّة. ولا شكّ أن هذه الدراسات الغربيّة قد جابت منعطفات هامة في القرنين الأخيرين وأمضت قدما صوب تسليط وجهات نظرها العلميّة على الأكاديميّة الشرقيّة فضلا عن الغربيّة.

ولكن النزعة الاستشراقيّة بطابعها الغربي والأجنبي أثارت انتقادات في عدد من الأوساط التقليديّة الإسلاميّة بما فيها الشيعيّة والسنيّة. لأنّها من وجهة نظر العالم التقليدي الإسلامي تتجاهل حقيقة الوحي الإلهي للنبي محمد صلى الله عليه وسلّم. وفي بعض الأحيان فضلا عن هذا التجاهل الذي يدأبه الاتّجاه الغربي في كثير من دراساته التاريخيّة، يهاجم بشكل صريح و معن أصالة الدين الإسلامي وصدقيّة نبوة محمد صلى الله عليه وسلّم.

فالتيّار التقليدي قد عانى دوما من مواقف ومعطيات هذه المقاربة الغربية بصفته – من وجهة نظره – تجرّنا الى الإلحاد على الصعيدين الفكري والعملی. ولكن هناك تيار آخر في العالم الإسلامي قد رحّب بهذه المقاربات الحديثة الغربيّة في دراسة التاريخ الإسلامي. فهذا التيّار الحديث قد طفق يطوّر الخطاب الغربي والاستشراقی يوما بعد يوم لأنّ المنتمين اليه كثيرا ما هم الذين لهم جذور في الأكاديميّة الغربية أو أمضوا حقيبة من عمرهم في البلاد الغربية. فهذا التيّار بغضّ النظر عن

جذوره الاجتماعية، يرى الاتجاهات الاستشراقية فى دراسة التاريخ الإسلامى تقدّم لنا معطيات تاريخية هى - فى كثير من الأحيان - عديمة النظر فى الأوساط التقليدية الإسلامية.

ولكن يبدو أنّ هذه النزاعات التى نشبت بين الخطاب الاستشراقى والخطاب الإسلامى يمكن أن تنبثق من ضعف الطرفين فى استيعاب وجهة نظر الطرف الآخر حيال الموضوع التاريخى. فالمدرسة التقليدية الإسلامية فى التاريخ التى تشمل كثيرا من مورّخى المسلمين المشهورين تنطرق عادة الى الأخبار التاريخية فى مستوى المسائل الاجتماعية، أو السياسية أو الاقتصادية. فتتكلم على سبيل المثال عن ظهور واضمحلال الدول والحكومات فى إطار الجغرافيا الإسلامى و تاريخه أو تشرح الحروب، والأبطال، والرموز الدينية و دورهم فى التاريخ.

لكن الاتجاه الاستشراقى خاصة فى دراسات القرون الأولى الإسلامية تناول فى كثير من الأحيان موضوع الهوية والفكرة وتطوّراتها. فالذاكرة التاريخية² أو الذاكرة الجمعية³ أو تكوّن الفكرة والهوية تعدّ من أهمّ المحاور التى تتابعها المدرسة الاستشراقية فى اتجاهها التاريخى.

فهذا الاتجاه الاستشراقى للتاريخ قد اشتهر فى الأكاديمية الغربية بأنها تاريخ الفكر أو تاريخ الأفكار؛ بصفته يركّز على المنشودات الذهنية البشرية وتطوّرها عبر الحقب التاريخية بدلا عن دراسة التاريخ السياسى وغيرها من الشؤون الاجتماعية حصريّا.

فإذا أخذنا الحقيقة المذكورة بعين الاعتبار نفهم بأنّ المواقف الاستشراقية حيال التاريخ الإسلامى والتى تتهم كثيرا ما بأنها تخرق نظام العقائد الإسلامى أو نابع عن إحداد المورّخ، قد تنشأ من اختلاف الموضوع التاريخى بين الاتجاه الإسلامى و الاتجاه الاستشراقى. فعلى سبيل المثال المورّخ الإسلامى يتحدّث عن الزكاة بصفته إحدى الواجبات المالية التى لها أصالة فى الآيات القرآنية والسنة النبوية ولكن المورّخ الاستشراقى يتحدّث عن الزكاة بصفته فكرة إسلامية طرحت

2 . Historical Memory.

3 . Collective Memory.

4 . History of ideas, History of Thoughts, or Intellectual History.

وتوسّعت في دورة المدينة وفقا للظروف الراهنة في تلك الآونة. ففي مثل هذه الحالات تتهم كثيرا ما المدرسة الاستشراقية بأنّ وراء هذا الأسلوب البياني إنّما هي الإلحاد وعدم الاعتقاد في أصالة هذه الواجبة المالية والمستشرق يعتقد أنها مختلقة ومصطنعة لتلبّي حاجات حكومة محمّد الماليّة وفقا لظروفه الزمنيّة.

ولكن يمكن أن تكون هناك وجهة نظر أخرى يبدو أنها اقرب الى الصحة. فهذا الموقف يرى أنّ الاختلاف يرجع الى تمايز الموضوع التاريخي عند المستشرق وعند المورّخ المسلم. فالمورّخ الاستشراقي يتناول «فكرة الزكاة» بصفتها ظاهرة اجتماعية بغضّ النظر عن أصلها الإلهية أو جذورها البشرية ولكنّ المسلم في تأريخه للزكاة يتناول كثيرا ما «نفس الزكاة» بصفتها فريضة الهيّة فرضها الله و أوحاها إلى نبيّه صلى الله عليه وسلّم حتّى يعلنها للناس.

فهذه المقالة بتوظيف عدد من الأمثلة تحاول لعرض عدد من التمايزات بين الاتجاه الاستشراقي والاتجاه الإسلامي حيال الموضوعات التاريخيّة وتدرس تأثيرات هذه الرؤية التحليليّة على تقدّم الدراسات التاريخيّة. كما تركّز في هذا الإطار على تأريخ الأفكار بصفته المناخ السائد في المدرسة الاستشراقية لدراسة تطوّر الفكرة والهويّة.